

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد :
فالمرآهقة مرحلة انتقال جسمي، وانفعالي، واجتماعي بين مرحلة الطفولة
الساذجة الوداعة، ومرحلة الشباب أول مراحل الرشد والنضوج والتكامل
الإنساني . ولهذه المرحلة أهميتها في حياة الإنسان، وفي تكوين شخصيته، لما
يصاحبها من تغيرات عظيمة لها آثارها في مختلف مستويات الحياة^(١) .

وفترة المرآهقة - تعليمياً - تقابل مرحلتي التعليم المتوسطة والثانوية، وتعتبر
هذه المرحلة من أهم مراحل النمو في حياة الفرد، حتى إن بعض علماء النفس
يعتبرونها بدء ميلاد جديد للفرد . وتختلف بداية هذه المرحلة ونهايتها باختلاف
الأفراد والجماعات اختلافاً كبيراً، كذلك تختلف من دولة لأخرى، ومن الريف
إلى الحضر .

وفيما مضى كانت مرحلة المرآهقة أقصر منها الآن ؛ لأن الغالبية العظمى من
الأبناء (بنين وبنات) كانوا يتزوجون في سن مبكرة، أما في الوقت الحاضر فقد
امتدت فترة التعليم بحيث أصبح معظم الأفراد يقضون وقتاً أطول في التعليم،
وطالت فترة العزوبة، وتأخر سن الزواج إلى ما بعد سن النضج الجنسي
بكثير^(٢) .

ويستفيد الآباء من دراسة مرحلة المرآهقة في تهيئة الجو المناسب لنمو أبنائهم

(١) علم النفس التكويني، عبد الحميد محمد الهاشمي، ص : ١٨٩ .

(٢) علم نفس النمو، حامد عبد السلام، ص : ٢٩٠ .

وبنائتهم، المراهقين والمراهقات، حتى يمكن لكل منهم أن ينمو النمو السليم السوي؛ وبذلك تصبح العلاقات بين الآباء والأبناء على أساس من الفهم الواضح العميق للظروف النفسية والاجتماعية التي يمر بها المراهق، ويتأثر بها، مما يفيد في المساعدة على جعل المراهق يعبر الهوية بين الطفولة والرشد بسلام.

والمراهقة مرحلة معقدة نسبياً، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الحضاري السائد في المجتمع الذي ينتمي إليه المراهق، وعليه تتخذ المراهقة صوراً وأنماطاً متعددة من بلد لآخر وفق الثقافات الموجودة، والعادات المتبعة، هذا بالإضافة إلى الاختلافات الفردية بين المراهقين في البلد الواحد ذوي الثقافة الواحدة، والعادات المشتركة^(١).

والمراهق يمر بفترة من الصراع، وعدم الاستقرار؛ ففترة المراهقة تتميز عن غيرها من فترات العمر بكثرة ما تمتلئ به من مشكلات، ولئن كان لبعض هذه المشكلات أساس عضوي (بيولوجي)؛ فإن بعضها الآخر إنما هو نتاج إهمال تربوي، أو ضعف في التوجيه النفسي، أو قسوة متطرفة، أو اضطراب في الرعاية البيئية^(٢)، وقد أثبتت بعض الدراسات أن المراهق لا يتعرض لأزمة من أزمات النمو ما دام هذا النمو يسير في مجراه الطبيعي^(٣).

والمراهق يفتقر إلى الخبرة والنضج التام، لكن نقص الخبرة أو عدم النضج ليس وقفاً على المراهق وحده؛ ولذلك يحسن النظر إليه بوصفه شخصاً في سبيل التكوين، أو على عتبة النضج، وعلى الرغم مما يذهب إليه بعض من أن وظيفة المنزل أخذت تقل من حيث الأهمية بالنسبة إلى المؤسسات الاجتماعية الأخرى،

(١) النمو النفسي للطفل المراهق، محمد مصطفى زيدان، ص: ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) علم النفس التكويني، عبد الحميد الهاشمي، ص: ١٩٠.

(٣) علم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران، ص: ٢٩٢.

فإن المنزل سيظل الوحدة الثقافية الأساسية التي ينطبع فيها المراهق بالآراء والقيم والمعتقدات السائدة^(١) ليس في مرحلة المراهقة وحدها بل في مراحل النمو المختلفة، وهذا الدور يختلف باختلاف مرحلة النمو وخصائصها؛ لذا فإن الموضوع بحاجة إلى مواصلة الدراسة لمرحلة لا تقل أهمية عن مرحلة الطفولة وهي مرحلة المراهقة، نظراً لما تتميز به - أي مرحلة المراهقة - من سرعة نمو في جوانب عديدة، وهذا النمو يؤدي إلى إحداث تغيرات عضوية ونفسية في حياة المراهق. إنها مرحلة ولادة ثانية؛ لأنها تُعدُّ ولادة في قيم الفرد وخلقته وعاداته وتقاليده، وإذا كانت الطفلة في سنواتها المبكرة تقبل كل ما تُلقن وتعتقد ذلك صحيحاً؛ مما يجعل التربية في هذه المرحلة ميسورة بالتلقين والإيحاء والقدوة الحسنة ممن حولها، فإنها في مرحلة المراهقة لم تعد طفلة ساذجة تقبل كل ما يُلقى لها دون فهم أو إدراك؛ وبذلك تكون التربية في هذه المرحلة مختلفة عما هي عليه في مرحلة الطفولة، فهي مرحلة تأديب وتوجيه وإرشاد وتصحيح أخطاء في جوانب شخصية الفرد كافة.

وإذا كانت فترة الطفولة في حاجة إلى رعاية شديدة من الوالدين - لأنها الفترة التي توضع فيها الأسس التي تركز عليها الشخصية فيما بعد - فإن مرحلة المراهقة أشد حاجة إلى الرعاية؛ لأنها تُكوّن منعطفاً هاماً في حياة الفرد، فإما استقامة يكون الانحراف بعدها نادراً، وإما انحراف تكون معالجته صعبة وشاقة^(٢)؛ مما يتطلب من الوالدين تربية كاملة شديدة الالتصاق والاحتكاك والتوجيه.

(١) النمو النفسي للطفل والمراهق، محمد مصطفى زيدان، ص: ١٧١ - ١٧٣.

(٢) «دور الأسرة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ»، عبد الرحمن عبد الخالق حجر، (رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية، ١٤١١هـ)، ص: ٦، ٧، (بتصرف).

وأودُّ أن أشير إلى أن الوالدين اللذين ينجحان في تربية أولادهما في مرحلة الطفولة لن يجدا عناءً في هذه الفترة؛ لأنهما يكونان قد وضعاً الأساس الصحيح لبناء نفسية أولادهم، فهم يكملون إرواء النبتة حتى تستوي على سوقها، ويضيفان إلى جهدهما السابق جهداً آخر فتؤتي الجهود ثمارها.

وأشير إلى أن الوالدين يواجهان في هذه المرحلة عدة تحديات :

التحدي الأول :

يتمثل في خصائص فترة المراهقة، وقوة غرائزها، وعنادها، واندفاعها، والميل إلى مقاومة توجيه الآباء، والنزعة الاستقلالية، والميل إلى المناقشة والجدل وخاصة في مسائل الدين إلى حد الشك .

التحدي الثاني :

ما يبذله أعداء الدين من جهد لجذب المراهقين بعيداً عن الدين مستخدمين من أساليب التشويق ما يسحر ألباب تلك البراعم البشرية الغضة، ويزين لها طريق الغواية والانحراف . ويساعدهم في تنفيذ مخططاتهم عدة أمور :

١- أنهم على علم تام بخصائص مراحل النمو وسماتها في حياة الإنسان، وأن مرحلة المراهقة بالذات هي أنسب هذه المراحل لتحقيق أغراضهم .

٢- أنهم على دراية تامة بالاتجاهات النفسية، ويعرفون كيف تتكون ومتى .

٣- أنهم خبراء متمرسون في أساليب التأثير على العقول والعواطف والأفكار؛ ولذلك فهم ينفثون سموهم الفكرية بدعوى الحرية والاستقلال في الرأي، وهو ما يتفق تماماً مع حاجات المراهق النفسية، وتصادف هوى لديه، فيستجيب لها بسرعة .

التحدي الثالث :

التقدم الهائل في وسائل الاتصال والإعلام والنشر الذي جعل من المتعذر إقامة السدود والحواجز أمام ما يراد ألا يصل إلى عقول المراهقين ونفوسهم، وأصبح الأمر يعتمد كلية على الدوافع الذاتية للفرد، وقوة إرادته .

وتطبيقاً لمبدأ (الوقاية خير من العلاج) فإنه يلزم الوالدين أن يقدراً حجم هذه التحديات، ويدركا أن التربية تبدأ من مرحلة الطفولة وتتصاعد مع نمو الطفلة حتى إذا اقتربت من المراهقة فقد حان الوقت لكي يلقيها بكل ثقلها في التربية؛ فذلك هو الأوان الحقيقي لتكوين الاتجاهات، وبناء الإرادة القوية التي تقي من الانحراف بكل أشكاله^(١) . وهذا ما سوف يتضح - بإذن الله - من خلال الجزء الثاني الذي يدور حول تحديد جوانب التنشئة الإسلامية المختلفة في حياة المراهقة، ويبين الدور التربوي للوالدين تجاهها، وذلك بعد إلقاء الضوء بصورة موجزة على معنى المراهقة في اللغة والاصطلاح .

١- المراهقة في اللغة:

راهق الغلام فهو مراهق : إذا قارب الاحتلام . والمراهق : الغلام الذي قارب الحُلُم . ويقال : جارية مراهقة، وجارية راهقة، وغلام راهق^(٢) .

فكلمة المراهقة ليست مشتقة من اللغة اليونانية، بل هي ذات أصل عربي، وفعلها الثلاثي (رهق) فعل متصرف يأتي منه الماضي، والمضارع، والأمر، والمصدر، ويضاف إلى الضمائر المتصلة والمنفصلة . والمراهقة مصدر للفعل

(١) المربون في مواجهة تحديات مرحلة المراهقة، محمد جمال الدين محفوظ، المجلة العربية، الرياض : العدد (١٢٣)، ربيع الثاني، عام ١٤٠٨هـ، ص : ٩٠ .

(٢) لسان العرب، ابن منظور : مادة : «رهق»؛ ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي : مادة : «رهق» .

الثلاثي المزيد بالألف (راهق - مراهقة). وإن مجرد ورود أصل مادة الفعل الثلاثية في القرآن الكريم يكفي دليلاً على أنها لفظة عربية^(١).

قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]^(٢)، وكذلك مما يدل على أنها لفظة عربية ورودها في حديث صحيح؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خير، فخرج بي أبو طلحة مُردفي وأنا غلام راهقت الحلم... الحديث»^(٣).

٢. المراهقة في الاصطلاح:

هي ترجمة لكلمة Adolescence، وأصل معناها اللاتيني هو: الاقتراب المتدرج من النضج^(٤). ويخلط بعض الناس بين مفهوم المراهقة ومفهوم البلوغ الجنسي، في حين أن لكل منهما معنى مستقلاً؛ فالبلوغ (puberty) يعني: بلوغ المراهق القدرة على الإنسال، أي اكتمال الوظائف الجنسية عنده، وذلك بنمو الغدد الجنسية عند الفتى والفتاة، وقدرتها على أداء وظيفتها.

أما المراهقة فتشير إلى التدرج نحو النضج الجسمي، والعقلي، والنفسي، والاجتماعي. وعلى ذلك فالبلوغ ما هو إلا جانب واحد من جوانب المراهقة، وهو أول دلائل دخول الطفل مرحلة المراهقة. وعموماً فإنه يمكن تحديد مرحلة

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلوي، ص: ١٩.

(٢) ﴿رَهَقًا﴾ أي فلا يخشى نقصاً من ثوابه ولا غشيان ذلة له، انظر: كلمات القرآن، حسنين محمد مخلوف، ص: ٤٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، ك/ الجهاد والسير، ب/ من غزا بصبي للخدمة، رقم ٢٨٩٣؛ ومسلم، ك/ الحج، ب/ فضل المدينة...، رقم ١٨٦٥.

(٤) علم النفس التكويني، عبد الحميد محمد الهاشمي، ص: ١٩٠.

المراهقة بما يلي :

- مرحلياً: هي الفترة التي تقع بعد البلوغ وقبل الشباب .

- نفسياً: تمتاز بعدم الاستقرار، والقلق، مع الشعور بالاستقلالية، كما تمتاز هذه الفترة بالتغيرات السريعة الشاملة لجميع الجوانب الحياتية للإنسان نفسياً، وجسدياً، واجتماعياً^(١) .

* * *

(١) المراهقون، سمير جميل الراضي، ص: ٧.